الفصل الثالث

مدخل إلى علم الجغرافيا السّياسيّة

الفصل الثالث

مدخل إلى علم الجغرافيا السّياسيّة

كان القرن العشرون قرن الجيوبوليتيقا؛ ومذ صيغ هذا المصطلح في بداية القرن العشرين وحتّى اليوم يتضمّن مفهومه الصّراع والتّغيير. الإشكاليات التي تتناولها الجغرافيا السّياسيّة إذا توفّر نافذه نبصر من خلالها الصّراع من أجل القوّة والمساحة الجغرافيّة ونحلّل من خلالها صعود القوى الامبرياليّة واقتتالها من أجل تنظيم المساحات الجغرافيّة طبقا للمصالح. وإبّان الحرب الباردة استُعملت الجيوبوليتيقا لوصف صراع عالميّ مستمرّ بين الرّأسماليّة والمعسكر الشّرقيّ إلى أن سقط الاتّحاد السّوفييتي سنة 1991. وفي الوقت الرّاهن صارت الجغرافيا السّياسيّة أكثر صلة بالواقع العالميّ لأنّ صراعات جديدة عالميّة حول القوّة والمساحة بدأت تتشكّل. وفي فترة ما بعد الحرب الباردة برزت إشكاليّات جديدة لم تكن تعتني بها الجيوسياسة في الماضي مثل صراع الحضارات وصراع الأديان والاحترار العالميّ وصراع الحركات الاجتماعيّة والصّراع بين المؤسّسات العالميّة المالية والتّجاريّة وكذلك الصّراع بين شبكات التّواصل العالميّ. وبما أنّي أعرض هنا لمفهوم فإنّ المفاهيم كلّها لها تاريخ وجغرافيا وبالتّالي فإنّ الجغرافيا السّياسيّة لا تمثّل استثناء فقد صيغت سنة 1889 على يد عالم السّياسة السّويديّ، رودولف كيلّن، (Rudolf Kjellen)، وكان لهذا المصطلح تاريخ حافل إذ تطوّر لينأى عن مفهومه الأصليّ كما وضعه كيلّن أوّل مرّة. وباختصار تمثّل مفهومُ الجيوسياسة عنده في ربط الجغرافيا بالسّياسة لأنّهما يؤثّران في بعضهما البعض ولا يمكن فصل الواحدة منهما عن الأخرى. لهذا السّبب أقول إنّه لمن الصّعوبة تعريف الجيوسياسة لأنّ معانيها ومفاهيمها تتغيّر عبر التّاريخ. وبالتّالي يمكن فهمها فقط في إطارها التّاريخيّ الخطابيّ. وعلى القارئ أن يولي انتباها خاصّا للمصطلحات التي تستعملها الجيوسياسة والتّي سأشرحها تدريجيّا.

لقد فهم رودولف كيلّن الجيوساسة كجزء من التّفكير والمعرفة الغربيّة الذين يهتمّان بالعلاقة بين الواقع الفيزيائيّ للأرض بالسّياسة. وكان كيلّن من المفكّرين الإمبرياليّين ولذلك كان أدولف هتلر أوّل من استعمل نظريّاته وعمل على تطبيقها فقد صارت تمثّل الجيوسياسة دعامة للسّياسة الخارجيّة النّازيّة يعبّر عنها بمصطلح "lebensraum" الذي يعني "المساحة الحيويّة" أو المساحة الحيويّة من أجل العيش. ولارتباط الجيوسياسة بالنّازية استعاض المفكّرون الجيوسياسيون عن معناها الأصلي وكذلك عن معناها النّازيّ بمعاني جديدة. ثمّ صارت تُعنى بالصّراع

العالميّ بين الإتّحاد السّوفييتي والعالم الغربيّ خلال الحرب الباردة التي كانت صراعا متواصلا من أجل بسط النّفوذ والتحكّم في الموارد الاستراتيجيّة. وقد لعب هنري كيسّنجر دورا بارزا في إحياء الجيوسياسة طوال السبعينات من القرن الماضي لكنّه عرّفها بأنّها لعبة تحقيق التّوازن في القوّة والسّياسات يضطلع بها اللاّعبون على الخارطة السّياسيّة العالميّة.

وليس الغرض من الجيوسياسة سوى فهم ديناميكيّات الصّراع الذي يدور على الخارطة السّياسيّة العالميّة، وبالتّالي أصبح معناها معالجة الرّؤى السياسيّة عن العالم وكيفيّة تشكّلها وكذلك ربط الدّيناميكيّات المحلية بالإقليميّة والعالميّة وبالنّظام العالميّ ككلّ. إنّها تدرس المآسي والصّراعات في إطار الاستراتيجيات والآفاق السّياسيّة مقدّمة نظرة فريدة من نوعها يجدها البعض جذابة ومحبّذة. لكن بالرّغم من أنّها نصّية بحتة، خطابيّة، فإنّها توفّر طريقة في التّفكير متعلّقة بالمساحتيّة تنظّم اللاّعبين والعناصر والمواقع المهمّة للشّعوب على رقعة الشّطرنج العالميّة وتؤكّد بأنّها متعدّدة الأبعاد، عالميّة، مفهوماتيّة، كلّية، بصريّة أو واقعيّة وليست لفظيّة خطابيّة فحسب. وتؤكّد الجيوسياسة على أنّها في مصلحة كلّ النّاس وأنّها تقدّم نظرة غير عادية عن شكل العالم المستقبليّ واتّجاهات الشّؤون السّياسيّة فوق الخارطة العالميّة. ويقبل النّاس والدّارسون على حدّ سواء على الجيوسياسة بحثا عن نظرة واقعيّة موضوعيّة واضحة تخلّصهم من التّعتيم الإعلاميّ والتّفسيرات الدّعائيّة للأحداث والتّحرّكات والصّراعات. تقلّص المساحة في العالم والتّسارع المكثّف للتقلّص الزّمكانيّ الذي أحدثته العولمة وثورة الإتّصالات والشّبكات المعولمة (اسم فاعل)، أصبحت الرّغبة في رؤية العالم من منظور واقعيّ اقوى من أي وقت مضى. في عالم اليوم الجديد اصبحت العلاقات بين الجغرافيا والسّلطة والنّظام تسلّط الضّوء على المسائل الجيوإقتصاديّة وعلى النّشاط العولميّ الذي يشكّله النّشاط التّجاري

والاستثمار وكذلك على مختلف الصّور التي تتخذها الدّول لتثبيت استقلاليتها صمن النّظم الجغرافيّة الموجودة في العالم.

وسأحاول أن أعرض الأبعاد المتعدّدة للجيوساسة العامّة وعناصرها المفهوماتيّة والتّنوّع الخطابيّ فيها. وإنّه لمن البديهيّ اليوم أنّ كثيرا من الرّؤى الجيوبوليتيكيّة تندرج ضمن التّوسّع الأمبريالي والصّراع الإيديولوجيّ بين القوى الإقليميّة المتنافسة. ولن يكون بإمكاني التّعرّض للأصوات التي تمثّل أقلّيات في الجيوسياسةوالتي تعارض التّنظير والممارسات الجيوسّياسيّة التي جعلت الجيوسياسة حكرا على السّاسة و"الحكماء" السّياسيّين مثل أقلّيات الحقوق المدنيّة والإنسانيّة وكذلك الاتّجاه الأنثويّ. وتجدر الإشارة إلى أنّ الجيوسياسة تُعتبر إلى اليوم معرفة وقوّة تحليليّة ذات أهمّية بالغة في العلاقات الدّوليّة والسّياسات الخارجيّة.

فإعلام القارئ عبر النّظرة النّقديّة الجيوسياسيّة هي هدف الجيوسياسة النّقديّة كما تسمّى اليوم. وأفيد القارئ بأنّي أستعمل لفظ الجغرافيا السّياسيّة وكذلك الجيوسياسة والجيوبوليتيقا كمترادفات.

عناصر الجغرافيا السّياسيّة الأساسيّة:

الجغرافيا السّياسيّة (geopolitics) تنتمي للعلوم الإنسانيّة، وهي علم واقعيّ يتّخذ على عاتقه مهمّة تتمثّل في تحديد خصائص الأهداف الجغرافيّة الطّبيعيّة والإنسانيّة الموجودة فيما وراء المظاهر والتي تكيّف الإختيارات الاستراتيجيّة للاّعبين الدّوليّين في الحياة الإيديولوجيّة والسّياسيّة والإقتصاديّة العالميّة. باقتضاب، تسعى الجيوسياسة إلى إبراز الخصائص المخفيّة للسّياسات وتصف الخارطة السّياسيّة العالميّة بخطاب خاصّ ثقافيّ سياسيّ مرتبط بالجغرافيا. ولا تزعم الجيوسياسة أنّ خطابها يمثّل "حقائق" وإنّما تراه خطابا يقدّم حقائقها هي. وبعبارة أخرى هي تسيّس المعرفة الجيوسياسيّة والمؤسّسات وممارسات الحكّام، أي أنّها تعتبر إنتاج الخطاب الجيوسياسيّ عمليّات سياسيّة في حدّ ذاتها، أي كجزء من السّياسات الموجودة. بالرّغم من ارتباطها بالسّياسة تسعى إلى أن تكون مستقلّة عن كلّ المؤثّرات السّياسيّة لكنّها مذ وُجدت استعملها رجال السّياسة ولازالت حتّى اليوم خاضعة للسّياسة وتطوّر مفاهيمها خدمة للسّياسة ومنظّروها وواضعو مفاهيمها الأساسيّة ومبادئها العامّة يُستعملون من طرف اللاّعبين السّياسيّين. ويقوم هذا العلم على جملة من المفاهيم يفوق عددها العشرين لكنّي سأعرض، هنا، أهمّ المفاهيم الرّئيسيّة فقط:

- الصّراعويّة: conflictualité
المساحتيّة أو الفضاءويّة: Spatialité
- الحدود والتّخوم: Limites et Frontières
- التّوسّع الامبراطوريّ أو بناء الإمبراطوريّات: impérialité
- العالميّة: mondialité

المبدأ الأوّل يقرّ بأنّ الحياة برمّتها صراعويّة (conflictuel).

العدوانيّة السّلبيّة والإيجابيّة للكائنات البشريّة، في عمليّات سعيهم الدّؤوب لتحقيق استمتاعهم بالحياة وتنافسهم من أجل امتلاك القوّة والسّلطة والمجد، تؤدّي بهم إلى الصّراع المتواصل وإلى الاختلافات والأزمات التي قد تتطوّر فتنقلب حروبا ودمارا. وقد أثبت القرن العشرين هذا المفهوم بامتياز، ولو تأمّلنا التّاريخ الطّويل للشّعوب والأمم لوقفنا على حقيقة أخرى تطبع الصّراعويّة التي تدرسها الجيوبوليتيقا وهي أنّ الصّراع والخلافات والحروب متكرّرة دوما ولا تتوقّف أبدا. وبما أنّ الصّراعويّة تدور في الجغرافيا فإنّ المهمّة الرّئيسيّة للجغرافيا السّياسيّة أو

الجيوبوليتيقا تتمثّل في تسليط الضّوء على جذور ومصادر الصّراعات والدّوافع التي تتحكّم باللاّعبين العالميّين وبكلّ العناصر العالميّة الفاعلة والمتفاعلة. ومنذ البدء يمكن تحديد ثلاث مصادر رئيسيّة ذات عمق سياسيّ واقتصاديّ هي: أوّلا، الصّراع من أجل السّيطرة على الموارد، ثانيا، الصّراع والاقتتال من أجل السّيطرة على المناطق الجغرافيّة، وثالثا، الصّراع والاقتتال من أجل الهيمنة الايديولوجيّة والعرقيّة والوطنيّة. هذه المصادر الثّلاث مرتبطة ببعضها أشدّ الارتباط ومتشابكة في تفاعلها أيضا. ثمّ إنّي ألفت نظر القارئ إلى أنّ المصدر الثّالث للصّراع والخلاف ثقافيّ سياسيّ في طبيعته.

لكي أوضّح العلاقة بين مصادر الصّراع الثّلاث أقول إنّ الاستيلاء على الموارد أو التّحكّم بها يستدعي الاستيلاء على المساحات الجغرافيّة أو التّحكّم بها؛ ولكي يتمّ الاستيلاء والتّحكّم بالمناطق الجغرافيّة التي تحتوي على الموارد لابد من الثّقافة ومن الإيديولوجيا لكي تبرّرا عقلانيّة القتال والكفاح وتشرعنا الحرب والغزو.

الحروب التي خاضتها روسيا عبر تاريخها كان من بين أهدافها التّوسّع جنوبا وغربا باتّجاه المناطق والمياه المعتدلة لأنّ ثلاثة أرباع من المساحة الرّوسيّة الجغرافيّة باردة جدّا. وأعني بالمياه البحار والمعابر التي تجعل الرّوس يتحرّكون بسهولة في أيّ اتّجاه شاءوا. ولعلّ القارئ قد أدرك هنا العلاقة الوطيدة بين مفاهيم الجيوسياسة التي أنا بصدد شرحها.

منذ أقدم العصور كان الصّراعوالإقتتال من أجل الموارد هو الشّكل الرّئيسيّ للصّراعويّة لكنّهما كانا على مرّ التّاريخ مقنّعين دوما بأقنعة إيديولوجيّة ثقافيّة الغرض منها شرعنة القتال والحرب والاختلافات. وقد أثبت القرن العشرين، كما قلت، أنّ الصّراع والصّراع المضادّ شيئان لا يتوقّفان أبدا. ولئن صُوّرت الحرب الباردة، على سبيل المثال، بين العالم الرّأسماليّ وحلف وارسو الذي كان يتزعّمه الاتّحاد السّوفييتي، بأنّها صراع إيديولوجيّ فإنّ الحقيقة هي أنّ ذلك الصّرا ع دار من أجل المساحات الجغرافيّة والموارد الطّبيعيّة كالنّفط واليورانيوم والماس والمعادن الثّمينة. لكنّ الحرب الباردة دارت رحاها أيضا من أجل السّيطرة على المياه وعلى الممرّات المائيّة والبحار والبحيرات. المياه صارت، نتيجة الانفجار السّكّانيّ، أهمّ مورد خلال القرن العشرين.

الصّراعويّة: الصّراع من أجل المساحات والفضاءات الجغرافيّة هذا الصّراع ضروريّ، في رأي المنظّرين، لكي تتمكّن البلدان المتصارعة من الوصول إلى الموارد التي هي موضوع التّنافس والاقتتال أحيانا. وهكذا فإنّ الصّراع على المياه، على سبيل المثال، يتمثّل في السّيطرة على الشّواطئ والأنهار والممرّات والمعابر والجبال والمضائق مثل مضيق جبل طارق والقنوات

مثل قناة السّويس وقناة بانما وعلى الطّرق المؤدّية إلى الهند وعلى المحيطات أيضا. السّيطرة على المساحات والمناطق في الشّرق الأوسط، مثلا، تمكّن من التّحكّم بموارد المياه: استيلاء اسرائيل على الجولان يمكّنها من تلبية الثّلثين أو أكثر من احتياجاتها المائيّة، وتتحكّم تركيا بمصادر دجلة والفرات وبذلك تتحكّم بكمّية المياه التي يحملها النّهران لسوريا والعراق. أمّا الصّراع من أجل بسط الهيمنة الإيديولوجيّة والإثنيّة والقوميّة فإنّه متجذر في التّرويج لهويّة رمزيّة تجعل البلد منتميا لمجموعة جغرافيّة من الأفكار ويجعله إيمانه بتلك الهويّة يسعى إلى بسط نفوذه لأنّ الإيديولوجيا تصوّره على أنّه الأحسن والأرقى أو بأنّ شعبه شعب مختار أو ينتمي لعرق مقدّس. إلاّ أنّ الصّراع الإيديولوجيّ والقوميّ والإثنيّ يغطّي، في الحقيقة، المصالح الحقيقيّة التي تطمح إليها البلدان عبر االإستراتيجيا.

المساحتيّة أو الفضاءويّة:

المساحتيّة تشير إلى الأراضي والمساحات الأرضيّة والبحريّة حسب المفهوم الجيوسياسيّ للأرضويّة التّقليديّة (Territorialité classique) وهو الفضاء الجوّيّ والفضاء الخارجيّ الذي لا يمتّ بصلة للأرضويّة (الفعليّة)؛ هذا النّوع من المساحويّة يسمّى، في الجيوسياسة، الأرضويّة الخاصّة (territorialité spéciale) لكنّه منطقة التّدخّل للاّعبين "المابينقوميّين" ويسمّى أيضا "الأرضويّة الافتراضيّة" أو التّخيّليّة (territorialité virtuelle). ولازالت إلى حدّ اليوم الأرضويّة الكلاسيكيّة مفهوما أساسيّا وإن كان الفضاء الأرضيّ والفضاء الخارجيّ قد اتّخذا مكانة أهمّ مع ثورة الاتّصالات والاتّصالات اللاّسلكيّة. كلّ بلد له أرض فيزيقيّة أو طبيعيّة تمثّل الأرضويّة الكلاسيكيّة وفضاء يمثّل الأرضويّة الافتراضيّة يمكن أن تستعمله الطّائرات والصّواريخ والأقمار الاصطناعيّة وكلّ من يسيطر على الأرضويّة الافتراضيّة تكون له الغلبة في كلّ صراع. ويمكن فهم هذه النّقطة بسهولة: القوى العظمى اليوم لم تعد تنظر إلى الأرضويّة على أنّها مجرّد المساحات الجغرافيّة الطّبيعيّة بل جعلت لها مستويات أخرى؛ الفضاء الذي تستعمله الطّائرات والصّواريخ وكذلك الفضاء الخارجيّ الذي تستعمله الأقمار الصّناعيّة والصّواريخ العابرة للقارّات أيضا.

والأرضويّة مرتبطة بالهويّة القوميّة التي هي منظومة رمزيّة تشمل الأمجاد الماضية وذاكرة يملؤها تذكّر الأراضي القديمة التي كانت تنتمي للدّولة الأمّة والتّأسّف على ضياعها وكذلك التّوق إلى استعادتها أو الحصول على أراضي جديدة أو المطالبة بأراضي كانت تابعة للدّولة الأمّة وتقع تحت سيطرة الدّول المجاورة أو غيرها. وكلّ أمّه إمّا لها مطالب أرضويّة أو تواجه مطالب أرضويّة من دول منافسة. وقد تكون الأرضويّة مقبولة من قبل القوى المجتمعيّة كلّها وقد

تكون محلّ صراع في الدّولة الأمّة الواحدة عندما يكون البلد متعدّد الأعراق، متعدّد الثّقافات فبعض الدّاخليّة قد تطالب بالأراضي وبالإنفصال بها. الهويّة القائمة بالقوّة على الأرضويّة (المساحة، الفضاء) يستعملها دعاة القوميّة في شحذ العزائم وفي استقطاب المقاتلين الذين يمثّلون الأسّ الرّئيسيّ لممارسة السّلطة وكذلك في استقطاب المتعاطفين والمؤيّدين الدّاخليّين والخارجيّين. الأمّة إذا وكذلك مفهوم الدّولة - الأمّة (l'Etat-Nation) يمثّلان نوعا من التّجريد للأرضويّة (idéalisation) من خلال بناء ملحمة قائمة على الهويّة وتقديس الأرض بهدف جمع كلّ الطّاقات الموجودة.

أمّا الأرضويّة الفضائيّة، خاصّة منها الفضاء الخارجيّ، فإنّ القوى المهيمنة اليوم هي الأقدر على استعمالها والتّحكّم بها بدرجات متفاوتة وتتوق كلّها إلى استعمالها بنجاعة لأغراض عسكريّة ومدنيّة. لهذا السّبب تعمل القوى العظمى على استكشاف الفضاء الخارجيّ وليس للبحث عن الحياة داخل أو خارج النّظام الشّمسيّ كما تزعم فإمكانيّة اكتشاف حياة متطوّرة أوغير متطوّرة على كوكب ما غير الأرض إمكانية ضئيلة جدّا إن لم تكن منعدمة. وفي الوقت الرّاهن ما زالت المساحة الخارجيّة امكانية تكميليّة للتحكم بالأرضويّة الكلاسيكيّة إذ أنّ التّحكّم بالفضاء الخارجيّ ليس متطوّرا إلى حدّ الآن. الاستيلاء على الأرضويّة الفضائيّة يمكّن من مراقبة الآخرين ومن التّنصّت عليهم ويمكّن من الهجوم عليهم وتوجيه ضربات إليهم. وهذه المقدرة المتوفّرة لدى بعض البلدان فقط تجعل الآخرين يلجؤون إلى التّمويه على الأرض والتّضليل وإخفاء الأهداف العسكريّة إلخ. التّحكّم بالفضاء قوّة وتفوّق يضعفان الأرضويّة الكلاسيكيّة خاصّة عندما تكون المساحات البحريّة والأرضيّة تسيطر عليها قوات معادية. إلاّ أنّ التّحكّم بالأرضويّة الفضائيّة يستدعي التحكم بالأرضويّة الكلاسيكيّة. إثر سقوط الاتحاد السّوفييتي حُرمت روسيا من قاعدة بايكنور الكازاخستانيّة وبذلك تأثّر برنامجها الفضائيّ؛ وهذا المثال يثبت أنّ السّيطرة على الفضاء تستدعي السّيطرة على الأرض. ويمكن أن نضرب مثالا آخر في هذا الصّدد: الأمم المتّحدة لا تأثير لها إلاّ بقدر ما توفّره من ولاء للأمم القويّة لأنّها لا تملك مساحة أرضويّة أو فضائيّة تجعلها قوّة تعادل قوّة قوّة الدّولة - الأمّة؛ وفي الحقيقة الأمم المتّحدة لديها مساحة افتراضيّة فقط.

نفس الشّيء ينطبق على رؤوس الأموال والسّلع؛ رأس المال والسّلعة بإمكانهما أن ينتقلا في العالم بصفة قانونيّة أو غير قانونيّة لكنّهما لا تملكان، في ظلّ العولمة، سوى أرضويّة افتراضيّة. وفي حقيقة الأمر كلّ المساحات والأرضويّات تكون افتراضيّة أو تخيّليّة قبل أن تصبح واقعيّة. عندما يستقرّ رأسمال أو شركة مصنّعة لسلعة معيّنة بمكان معيّن فإنّهما يحتلاّن المكان وهكذا تصبح الأرضويّة واقعيّة.

الحدود والتّخوم:

لا يمكن أن توجد دولة من دون حدود (des limites). اليوم يبلغ عدد الدّول المنتمية للأمم المتّحدة 192 لكنّ هذا العدد لا يشمل الفاتيكان وكوسوفو، التي استقلّت عن سربيا حديثا، كما أنّه لا يشمل طايوان، لاعتبارات سياسيّة، إذ أنّ الصّين تقول إنّها مقاطعة تابعة لها، ولا يشمل فلسطين المعترف بها كسلطة وطنيّة من دون اعتبارها دولة لأنّها غير مستقلّة تماما. وممّا لا شكّ فيه هو أنّ الحدود لها وظيفة سياسيّة فهي تتطوّر تاريخيّا وتلعب دورا في المحافظة على الاستقلاليّة. الحدود تتطوّر تاريخيّا وتتغيّر لكنّ التّخوم لا تتغيّر كما سنرى. وفي التّاريخ، عندما برزت الدّولة الاسلاميّة كقوّة كبيرة لم تعتبر بقيّة الأمم أمما متخلّفة كما فعل الرّومان من قبل. الرّومان اعتبروا ما بداخل حدودهم حضارة وتحضّرًا وأسموْا كلّ الأمم الموجودة خارجها "بربريّة"؛ هذا يبيّن عمليّة إضفاء القداسة على الحدود التي تساهم في الحفاظ على الشّعور بالهويّة وتكريسه على أرض الواقع. المسلمون ربطوا الامبراطوريّة الاسلاميّة بالرّسالة السّماويّة التي جاء بها محمّد ولذلك كان التّوسّع الاسلاميّ أيضا تقديسا للهويّة لكنّه لم يكن قائما على العنصريّة أو اعتبار بقيّة الأمم أمما متخلّفة أو بربريّة. ومذ تكوّنت الدّول الحديثة صار تقديس الحدود والأراضي مستندا إلى الشّعور القوميّ الذي يشمل القيم الدّينيّة أيضا. وقد لعب التّطوّر الذي حصل في علم وضع الخرائط دورا في إرساء الحدود.

أمّا التّخوم (frontiers) فهي حدود طبيعيّة تتمثّل في عوائق طبيعيّة تمنع توغّل الأعداء في أرض ما، وقد تكون بحارا ومحيطات وأودية وبحيرات وسبخات وصحاري وجبال و سلاسل جبليّة. وتعتبر التّخوم حدودا طبيعيّة عندما تفصل بين شعوب تختلف من حيث الإثنيّة والثّقافة ومن حيث الأصل الإثنيّ أو في اللّغات التي تستعمل وفي الأديان التي بها تؤمن. وتسمّى تخوما لأنّها متاخمة أو تطلّ على الجانب من الأرضويّة التّابعة لطرف آخر. وتصبح التّخوم سياسيّة عندما تشكّل حدودا فعليّة تفصل بين بلدين أو أكثر. وكثيرا ما تكون التّخوم محلّ صراع أيضا إذ قد يُنظر إليها على أنّها حدود طبيعيّة وقد تسعى دولة ما إلى تجاوزها عندما أقلّية إثنيّة ما تابعة لتلك الدّولة مقيمة فيما وراء التّخوم. في هذه الحال تنظر الدّولة إلى التّخوم في إطار إثنيّ ثقافيّ وتغفل المعايير والعوامل الجغرافيّة الطّبيعيّة. ما يجب أن يتذكّره القارئ هو أنّ الحدود ليست بالضّرورة تخوما والتّخوم ليست بالضّرورة حدودا إلاّ أنّهما يحمّلان محتويات أثنوثقافيّة وسياسيّة. على سبيل المثال كثيرا ما يستعمل الأوروبيون الحدود في تبرير رفض انتماء تركيا للاتّحاد الاروبيّ إذ يقال إنّ جزءا من تركيا فقط يقع ضمن حدود أروبا وأمّا البقيّة منها فتقع

في آسيا. وفي هذا عودة إلى الاستدلال الرّومانيّ القديم: ما يوجد داخل حدودنا يمثّل الحضارة وما يوجد خارجها يمثّل التّخلّف والبربريّة.

أمّا دور الحدود فيتمثّل في المحافظة على الاستقلاليّة كما قلت وعلى جدواها وفاعليّتها ونجاعتها. الدّولة التي لا تستطيع الدّفاع عن حدودها ليست دولة مستقلّة بأتمّ معنى الكلمة. وفي إطار أرضويّتها المحدودة بالحدود تطبّق الدّولة قوانينها فإذا كانت تلك الحدود تُخرق باستمرار سواء من طرف دول أخرى أو من طرف عصابات تهرّب السّلع ورؤوس الأموال فإنّه يبطل الحديث عن نجاعة وفاعليّة الاستقلاليّة. الدّول المتصارعة تعمل على كسر الحدود ولا تعير الدّولة الأقوى اهمّية لحدود الدّولة الضّعيفة. إيران مثلا تحتلّ الجزر العربيّة لأنّ الدّولة الإماراتيّة دولة قزميّة لا تستطيع الدّفاع عن حدودها. المغرب أيضا لم تستطع تحرير سبتة وملّيلة من الاحتلال الاسبانيّ لأنّها ضعيفة وسوريا لم تستطع تحرير الجولان والأراضي التي تحتلّها تركيا لأنّها ضعيفة أيضا.

التّوسّع الامبراطوريّ:

توسيع القوّة إلى ما رواء الشّعب أو الأمّة المقيمة في مساحة جغرافيّة أرضويّة معيّنة يقود إلى بناء الامبراطوريّات. ولعلّ التّاريخ كلّه، من وجهة نظر الجغرافيا السّياسيّة، ليس سوى بناء للإمبراطوريّات. يكفي النّظر إلى التّاريخ لندرك هذا: التّاريخ تعاقب للامبراطوريّات، وفي الحقبة التّاريخيّة الرّاهنة يتّخذ التّوسّع أشكالا تقليديّة قديمة وأشكالا حديثة أو جديدة. ويمكن تقديم أمثلة على الامبراطوريّات الكلاسيكيّة التي وجدت عبر التّاريخ:

- في مصر القديمة، ابتداء من الالفيّة الثّالثة قبل الحقبة الحالية وحتّى القرن السّابع قبل ميلاد المسيح: إمبراطوريّة رمسيس الثّالث.
- الامبراطوريّة الفارسيّة منذ القرن السّابع حتّى سنة 331 قبل الميلاد حيث قضى عليها الكسندر المقدوني.
- امبراطوريّة ماسيدونيا والإغريق التي بلغت مصر والهند والتي بناها الكسندر المقدوني (331 - 323 قبل الميلاد).
- الامبراطوريّة الصّينيّة منذ 221 قبل الميلاد.
- الامبراطوريّة الرّومانيّة منذ 72 قبل الميلاد حتّى سنة 476 ميلاديّة.
- الامبراطوريّة الماغوليّة التي بناها جنغس خان الذي توفّي سنة 1228 م ثم يمورلنك (1335 - 1405).
- أمبراطوريّات أمريكا الوسطى للأزتاك والمايا في القرن التّاسع ق.م.
- أمبراطوريّة امريكا الجنوبيّة للإنكا في القرن 14 ق.م.
- الامبراطوريّة الكارولنجيّة لشارلماني في أروبا (800 - 843).

- الامبراطوريّة العثمانيّة.
- الامبراطوريّة النّمساويّة المجريّة.
- الامبراطوريّات الاستعماريّة للبرتغال وإسبانيا ثمّ الامبراطوريّة البريطانيّة بعد اكتشاف أمريكا على يد كريسطوف كولمب. ثمّ الامبراطوريّة الفرنسيّة والبلجيكيّة والامبراطوريّة الرّوسيّة.

ومنذ سقوط الامبراطوريات القديمة الكلاسيكيّة المتمثّلة في الامبراطوريّة الرّوسيّة والعثمانيّة والنمساويّة المجريّة، بدأت امبراطوريات جديدة استعماريّة، وبعد الحرب العالميّة الثّانية ظهرت الامبراطوريّة الحديثة التي تسمّى قوى امبرياليّة من أهمّها الامبراطوريّة الامريكيّة والسّوفياتيّة وكذلك الامبراطوريّة الصّينيّة التي أنشأها ماو تسي تونغ سنة 1949.

ويمكن تعريف الامبراطوريّة الكلاسيكيّة بأنّها البناء السّياسيّ لكينونة مستقلّة مجالها وحدة أرضويّة متّصلة أو غير متّصلة تجمع شعوبا مختلفة، أثنيا وثقافيّا، تعيش في مساحات جغرافيّة تمّ ضمّها بالقوّة وإخضاعها لسيطرة دولة مركزيّة. وقد تتّبع الدّولة المركزيّة نظام حكم ونظام إدارة لامركزيّين لكنّها تتحكّم سياسيا بالأراضي التي تمّ ضمّها وتستغلّها اقتصاديّا. الامبراطوريّات الاستعماريّة لم تختلف كثيرا عن الامبراطوريّات القديمة الكلاسيكيّة إذ استولت على الأراضي والمناطق الجغرافيّة بالقوّة وهي قوى ثالاسّوقراطيّة أيضا (thalassocratic) لكنّ حكمها لم يكن أبدا لا مركزيّا. أمّا الامبراطوريّات الحديثة التي تسمّى قوى امبرياليّة فهي ذات طبيعة أخرى وذات أشكال جديدة لا تكوّن وحدة سياسيّة بأتمّ معنى الكلمة أو وحدة قضائيّة وإنّما الهيمنة على باقي الأقطار والأقاليم هيمنة اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة قائمة على الولاء وعلى استعمال الطّبقات التي لها مصالح في خدمة الامبراطوريّة مثل طبقة الكمبرادور وكذلك استعمال الأنظمة المنصّبة التي تمكّن الامبراطوريّة من خيرات البلد التّابع.

البلدان الإفريقيّة والأقطار العربيّة بصفة عامّة ليست تابعة قضائيا لأمريكا (وبعضها لم يكن تابعا قضائيا للاتّحاد السّوفييتي السّابق) لكنّ القوّة الامريكيّة الامبراطوريّة تتحكّم بهذه البلدان والأقطار إيديولوجيا وسياسيّا واقتصاديّا. الامبراطوريّة الحديثة تستعمل رأس المال في الهيمنة وتلجأ إلى التّسلّط والتّدخّل العسكري من حين لآخر لفرض هيمنتها. وفي الزّمن الحديث صارت الامبراطوريّة هيمنة على البلدان وعلى مناطق النّفوذ باتّباع تكتيك "فرّق تسد"، أمّا التّبريرات الثّقافيّة أو الايديولوجيّة المستعملة فتتمثّل أساسا في أطروحات يمكن تلخيصها فيما يلي: القوّة وحقّ استعمال القوّة من أجل الدّفاع على المصالح، التّوسّع كحقّ مشروع، القوّة تتطلّب امتيازات بما أنّ الامبراطوريّة تخدم البلد الخاضع وتدافع عنه.

العالميّة:

مفهوم العالميّة يشير أوّلا إلى عالميّة بعض الأماكن أو إلى عالميّة مكان معيّن. العالميّة تتأتّى من استراتيجيّة المكان ومن الخطاب السّياسيّ وممّا يحتويه المكان من موارد. ويحصل المكان على عالميّته عبر الخطاب السّياسيّ المستمدّ من موقعه الجيوسياسيّ الذي يمكّن القوّة التي تتحكّم به من ممارسة سلطة خفيّة أو بارزة تجاه القوى الأخرى. ليس معنى هذا أنّ المكان أو الفضاء الجيوسياسيّ للمكان لا يتمتّع بالعالميّة، على أرض الواقع، بل قد يكون بالفعل ذا خصائص تجعله متميّزا لكنّ الخطاب السّياسيّ والجيوسياسيّ هو الذي يضفي عليه صفة العالميّة ويَدخل في ذلك الخطاب تحليل قائم على تصنيف للأعداء الطّامعين في ذلك المكان والأصدقاء الذين يساندون القوّة المسيطرة على المكان. على سبيل المثال أذكر هضبة الجولان لارتفاعها ولما تحتويه من موارد مائيّة وبعض المضائق كمضيق هرمز وبعض القنوات مثل قناة السّويس وبعض المعابر البحريّة مثل قرن الرّجاء الصّالح بجنوب إفريقيا.

إذا كان المكان يتمتّع بموقع يجلب اهتمام وأطماع الكثير من القوى أو جميعها فهو يتمتّع بالعالميّة. وفي هذا الصّدد أشير إلى أنّ عالميّة المكان في الجيوسياسة يختلف مفهومها عن المعنى اللّغويّ المتعارف عليه. عالميّة المكان صفاته التي تجعله مرغوبا فيه والتي تجعله يخدم القوّة المسيطرة عليه.

وتشير العالميّة في الجيوسياسة إلى عالميّة القوّى السّياسيّة أو الإمبراطوريّة فبعض القوى لها صفة العالميّة لأنّها قادرة على التّحكّم بالعالم أو بمعظمه.

معنى ذلك أنّها قادرة على التّحكّم بالأماكن العالميّة، الاستراتيجيّة والغنيّة بالموارد. هذه الصّفة توفّرت تاريخيا في الامباطوريّة البريطانيّة التي كانت قوّة ثلاسّوقراطيّة لا مثيل لها. وهنا أشرح هذا المصطلح: ثلاسّا في اليونانيّة هو البحر؛ قوّة ثلاسّوقراطيّة أي قوّة بحريّة تتحكّم بمفردها بالبحار. وفي العصور القديمة حقّقت بعض الامبراطوريّات العالميّة مثل الامبراطوريّة الفارسيّة والاسلاميّة. ومنذ سقوط الاتّحاد السّوفييتي ليس هناك من قوّة عالميّة، الآن، سوى الولايات الأمريكيّة لأنّها تتحكّم بالعالم ومهيمنة عليه. عالميّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة عالميّة أحتلال وتوسّع لدولة عملاقة تسمّى "قوّة مفرطة" (hyper power) وهي قوّة تبغي تحقيق امبراطوريّة عبر العولمة.

الخطاب الجيوسيّاسيّ:

كتب الفيلسوف الفرنسيّ ميشال فوكو في عديد المناسبات، وخاصّة 1980 أنّ ممارسة السّلطة تصنع المعرفة باستمرار وأنّ المعرفة تحمل وتدفع باستمرار آثار السّلطة بطريقة مثيرة للجدل. في أعماله الفلسفيّة والتّاريخيّة بيّن كيف أنّ نظم السّياسة في المجتمع تخلق نظما من المعرفة تبرّر قوّتها وتشرعن سلطتها على المجتمع؛ النّظام العسكريّ مثلا يشرح ويبرّر خطابا متعلّقا بأمن البلاد، وهو خطاب نجد فيه العسكر هم الأخصّائيّن وأصحاب السّلطة. أمّا كيفيّة الدّفع للسّلطة، وأعني بها التّدعيم، فتتمّ بالطّريقة التّالية: عندما يقدّم العسكر خطابهم المتعلّق بالأمن القوميّ ويطالبون بتطوير أو اقتناء نظم جديدة من الأسلحة فإنّ ذلك قد يلقى معارضة من المطالبين بالعناية بالرّعاية الاجتماعيّة ومن مؤسّسات أخرى تفضّل العناية بالضّمان الاجتماعيّ فيعمد العسكر إلى تطوير خطاب "الأمن القوميّ" بما أنّهم متخصّصون في ذلك المجال ويتحكّمون بخطاب الأمن. وعندما يصبح خطابهم مهيمنا في المجتمع فإنّهم يحتكرون سلطة تجعلهم هم الأقدر على الحديث حول الأمن والمصالح الوطنيّة وهكذا فإنّ ممارسة السّلطة مرتبطة بصناعة المعرفة. وإنّي أستعرض في عجالة فلسفة فوكو عن السّلطة لأبيّن أن الجيوبوليتيكا، كخطاب، كانت متغلغلة في نظم السّلطة ونظم المعرفة حتّى من قبل أن يُصاغ المصطلح ويتطوّر فقد كتب المفكّرون عن تأثير الجغرافيا في سلوك الاستراتيجيا العالميّة منذ أواخر القرن التّاسع عشر كما قلت. من بين هؤلاء مؤرّخ البحريّة الأمريكيّة ألفراد ماهان (1840 - 1914) Alfred Mahan الذي تحدّث عن أهمّية الجغرافيا السّياسيّة ـ الكتل الإقليميّة والسّمات الطّبيعيّة بالنّسبة إلى البحر ـ في تقدّم القوّة البحريّة من طرف الدّول المتوسّعة في دراسة عنوانها "تأثير القوّة البحريّة على التّاريخ" (Influence of Seapower Upon History) التي نشرها سنة 1890. الطّريق نحو العظمة القوميّة في نظره يمرّ عبر التّوسّع.

وكتب الجغرافيّ الألمانيّ فريدريش راتزل (1844 - 1904) Friedrich Ratzel عن أهمّية العلاقة بين الأرض والأمّة في تقدّم القوّة الإمبرياليّة والسّلطة الوطنيّة. في كتابه الذي عنوانه "الجغرافيا السّياسيّة" (Political Geography) – 1897 - اعتبر الدّولة عضوا حيّا منشغل بالصّراع من أجل البقاء ضدّ الدّول الأخرى، وكان متأثّرا بالدّاروينيّة. في رأيه، الدّولة عليها أن تتوسّع وإلاّ تواجه الاختناق ثمّ الموت وفي داروينيّته الإجتماعيّة مجّد الدّولة الألمانيّة واعتبر الأرض والأمّة الألمانيّة متفوّقين على الأراضي والأمم الأخرى. لذلك يجب على الدّولة الألمانيّة أن تتوسّع على حساب الكائنات العضويّة الأخرى لكي تجد لنفسها مجالا حيويّا للعيش والتّقدّم (lebensraum). ولم تكن كتابت فريدريش راتزل وكذلك ألفراد ماهان بالشّيء الغير

مألوف في تلك الحقبة بل إنّ كتّابا آخرين منهم البريطانيّ هالفورد ماكّيندر وكارل هاوسهوفر تدعو لنفس الرّؤى. وبالتّالي فإنّ الجيوبوليتيقا قد ظهرت بادئ الأمر كخطاب أمبرياليّ، كمفهوم وممارسة، وظلّت على تلك الحال حتّى منتصف العشرين ثمّ صارت خطابا قائما على ثنائيّة السّلطة ـ المعرفة داعيا إلى التّوسّعيّة وبناء الإمبراطوريّات. كلّ المنظّرين في ميدان الجغرافيا السّياسيّة كانوا رجالا بيضا فسّروا وبرّروا التّوسّع الاستعماريّ والإمبرياليّ معتبرين أنّ بلدانهم تمثّل قمّة الحضارة وأنّهم أسياد الكرة الأرضيّة ووضعوا مصطلحات مثل "قلب الأرض" (Heartland) و"حوافي الأرض" (Rimlands) {جمع حافة} في استدلالاتهم السّيادويّة (supremacist arguments).

حوصلة لأهمّ مراحل الجغرافيا السّياسيّة وأفكارها:

أوّلا: الجغرافيا السّياسيّة الإمبرياليّة

منظّروها:

ـ ألفراد ماهان، فكرته: القوّة البحريّة.
ـ فريدريش راتزل، فكرته: Lebensraum
ـ هالفورد ماكّيندر، أفكاره ومصطلحاته: القوّة الأرضيّة ـ "قلب الأرض"
ـ كارل هاوسهوفر، أفكاره ومصطلحاته: القوّة الأرضيّة ـ "قلب الأرض"
ـ نيكولا سبيكمان Nicolas Spykman، أفكاره ومصطلحاته: "حوافي الأرض"

ثانيا: جيوبوليتيقا الحرب الباردة

منظّروها:

ـ جورج كينّن George Kennan، فكرته: الإحتوائيّة
ـ منظّرو الجغرافيا السّياسيّة الأمريكان والرّوس، أفكارهم ومصطلحاتهم: بلدان العالم الأوّل والثّاني والثّالث كأقمار صناعيّة وحجارة دومينو ـ الشّرق ضدّ الغرب والرّأسماليّة ضدّ الإشتراكيّة والحرّية ضدّ الاستبداد.

ثالثا: جيوبوليتيقا النّظام العالميّ الجديد

منظّروها:

ـ ميخاييل غورباتشوف، فكرته: تفكير سياسيّ جديد
– فرنسيس فوكوياما، فكرته: نهاية التّاريخ
– إدوارد لوتواك Edward Luttwak، فكرته: نجوميّة الجيوإقتصاد.

- المحافظون الجدد، فكرتهم: الولايات المتّحدة زعيمة النظام العالميّ الجديد، الحرب الدّائمة، تسخير المنظّمات العالميّة لخدمة أمريكا.
- قادة صندوق النّقد الدّوليّ ومنظّمة التّجارة العالميّة وزعماء مجموعة السّبعة G7، أفكارهم: اللّيبراليّة العالميّة واللّيبراليّة الجديدة المابين أمميّة
- مخطّطو الإستراتيجيا في النبتاغون والنّاطو، أفكارهم: دول مارقة، دول تسعى إلى التّسلّح النّوويّ بطريقة غير قانونيّة - إرهاب.
- صامويل هانتنتون، فكرته: تصادم الحضارات

رابعا: جيوبوليتيقا البيئة

منظّروها:

- آل غور Al Gore، فكرته:
- مبادرة استراتيجيّة لحماية البيئة
- روبرت كابلان Robert Kaplan، فكرته:
- الفوضويّة القادمة
- طوماس هومر ديكسن Tomas Homer-Dixon، فكرته:

فقر المحيط أو النّدرة في المحيط وينطلق منظّرو الجغرافيا السّياسيّة الإمبرياليّة من إيمانهم بتفوّق البيض على كلّ الأعراق وبتفوّق الرّجال على النّساء وبتفوّق الحضارة الغربيّة على غيرها من الحضارات فأفكارهم بالتّالي تعبّر عن الجنسانيّة والعدوانيّة والعنصريّة والشّوفينيّة، وهذه كلّها ميزات الإيديولوجيا النّازية التي تغنّت بتفوّق العرق الآري على غيره. وبهذه الطّريقة يصبح الخطاب الجيوساسيّ منظّرا للقتل والتّدمير واستعباد الشّعوب. ثمّ جاءت الحرب الباردة فوفّرت سياقا لإنتاج الخطابات التي تندرج ضمن ثنائيّة السّلطة ـ المعرفة وفي ذلك السّياق ذاته بلغت الجغرافيا السّياسيّة مرحلة النّضج، وفي حين شدّدت الجيوسياسة على أهمّية التّأثير الذي تمارسه الجغرافيا الطّبيعيّة في السّياسة الخارجيّة التّوسّعيّة فإنّ جيوسياسة الحرب الباردة تمحورت حول العداء الأمريكيّ السّوفييتي ودور التّوسّع الجغرافيّ وكذلك الإيديولوجيا فيه. هالفورد ماكّيندر مثلا وصف أجزاء من كتلة الأراضي السّوفياتيّة بأنّها "قلب الأرض" وأمّا جورج كينّن، مهندس السّياسة الإحتوائيّة الأمريكيّة، فقد رأى أنّ الأراضي السّوفياتيّة لم تكن أرضا بل كائنا توسّعيا يمثّل تهديدا لا نهائيا.وترتبط المصطلحات المستعملة في ربط الصّراع بمسائل إيديولوجيّة متعلّقة بالهويّة والاختلاف. ظلّت الجغرافيا السّياسيّة تصف الغرب بأنّه ليس مجرّد منطقة جغرافيّة بل هو مجموعة متميّزة لها هويّة خاصّة يعمل على نشر الدّيمقراطيّة ويثمّن مقاييس التّحضّر والمدنيّة، وبما أنّ بلدانا حليفة للغرب لا توجد داخل المنطقة الجغرافيّة الغربيّة مثل اليابان وكوريا الجنوبيّة فقد تمّ توسيع الهويّة الرّمزيّة لكي تشملهما.

في خضمّ الحرب الباردة صارت الجيوبوليتيقا لعبة تمارسها القوى العظمى فوق الخارطة العالميّة فاصبحت القوى الغربيّة هويّة رمزيّة تسمّي الاتّحاد السّوفييتي "الكتلة الشّرقيّة" ثمّ أسماه رونالد ريغن "امبراطوريّة الشّرّ".وفي الكتابات الجيوسياسيّة سمّيت بلدان الكتلة الشّرقيّة "العالم الثّاني" للتّأكيد على مناقضته للعالم الأوّل وهو العالم الغربيّ. أمّا العالم الثّالث فهو العالم الفقير المتخلّف الذي يمثّل مناطق يدور حولها صراع العالمين الأوّل والثّاني. وقد رافق

ذلك الصـّراع من أجل مناطق العالم الثـّالث تصنيف ووصف وتحليلات ستراتيجيّة تقيّم المناطق الغنيّة بالموارد كمنطقة الشـّرق الأوسط مثلا. الحرب الباردة انتجت نظريّة حجارة الدّومينو التي ذكرتها آنفا وهي شكل من التـّحليل الجيوسياسيّ يعتبر دول البلدان غير الاتـّحاد السـّوفييتي والولايات المتـّحدة الأمريكيّة مجرّد كائنات لا حول لها ولا قوّة يمكن إسقاطها بسهولة والإبقاء عليها بسهولة أي التـّلاعب بها كما تشاء القوى العظمى.

ويمكن وصف الجغرافيا السّياسيّة كنماذج من ثنائيّة القوّة ـ المعرفة التي تجاهلت كلـّية الخصائص الجغرافيّة للأمكنة والشـّعوب والمناطق. وقد عدّ البعض من علماء الجغرافيا السـّياسيّة انتصار التـّحليل الخطابيّ الأمريكيّ انتصارا للثـّقافة الأمريكيّة تحقـّق بفضل الماكارثية التي أدّت بالولايات المتـّحدة الأمريكيّة إلى احتلال فيتنام وخوض المزيد من الحروب، لكنّ تلك الجيوسياسة أثبتت فشلها لأنـّها لم تأخذ بعين الاعتبار خصائص الشعب الفيتناميّ. وقد طردت منه أمريكا شرّ طرد ثمّ ارتكب الاتـّحاد السـّوفييتي نفس الأخطاء عندما أقدم على احتلال افغانستان. ومع سقوط الاتـّحاد السـّوفييتي وقعت الجغرافيا السـّياسيّة وكذلك العلوم السـّياسية في أزمة سمّيت "أزمة المعاني" فبما أنّ الجيوسياسة تدرس الصـّراعات كان لابدّ من إيجاد صراعات جديدة؛ هذه المرّة تمّ التـّركيز على الصـّراعات الثـّقافيّة وتمّ تصوير العالم الاسلاميّ على أنـّه العدوّ الجديد للغرب وللثـّقافة الغربيّة. ومنذ سقوط الاتـّحاد السـّوفييتي تحوّل التـّنظير نحو مفاهيم "النـّظام العالميّ الجديد" وفي هذا الإطار أعيد تعريف الجغرافيا السـّياسيّة وتحديد مقارباتها وممارساتها. برز منظـّرون جدد يتغنـّون بتفوّق العالم الغربيّ منهم فوكوياما التي قال بنهاية التـّاريخ وإيدوارد لوتووك الذي تغنـّى بتفوّق الجيوإقتصاد الغربيّ.

رأى إيدوارد لوتووك أنّ الدّول ككائنات أرضيّة أو جغرافيّة سوف تواصل صراعها لكنّه لن يكون صراعا سياسيّا بل جيوإقتصاديّا، صراع يديره الاقتصاد في نطاق الجغرافيا. وسيتـّخذ هذا الصّراع في رأيه شكل خلافات تجاريّة واقتصاديّة. كانت نظريّة إيدوارد لوتووك مرتبطة بالدّولة، لكن منظـّرين آخرين في ميدان الجغرافيا الاقتصاديّة شدّدوا على التـّقهقر النـّسبيّ للدّول لصالح لصالح التـّدفـّق الصـّاعد للمؤسّسات المابين قوميّة. هذه الرّؤية يعبـّر عنها بمصطلح "اللـّيبراليّة" المابين قوميّة أو اللـّيبراليّة الجديدة وهي مذهب تؤكـّد أنّ العولمة التي تقولها التـّجارة والانتاج والأسواق سوف تحدّ من سلطة الدّول وتسرّع في إندماج العالم. هذه النـّظريّة تتبنـّاها مجموعة السـّبعة وصندوق النـّقد الدّوليّ ومنظـّمة التـّجارة العالميّة التي ترى أنّ العولمة تسرّع في نماء البلدان النـّامية. إلاّ أنّ هذه المؤسّسات لها مختلفة تماما عن نواياها المعلنة.

أمّا عالم السّـياسة ومنظـّر المحافظين الجدد ساموِيل هـانتنتن فيشدّد علـى قوّة الكتل الجيوثقافيّة في النـّظام العالميّ الجديد. يؤكـّـد هـانتنتن أنّ الكتل الثـّـقافيّة تحدّد الشـّؤون العالميّة لكنّ هذه الخاصّية قد حجبتهـا الحـرب البـاردة فلم يعتنـي بهـا علمـاء الجغرافيا السـّياسيّة؛ أمّا الآن فهي موجودة إلى جانب الخطابات المختلفـة وهـي التـي ستحدّد طبيعة النـّظام العالميّ الجديد.